obeikandl.com

الكتاب المفصل في لغة الجسد

9

الفصل التاسع

غزاة الفضاء المناطق والمساحات الشخصية

obeikandl.com

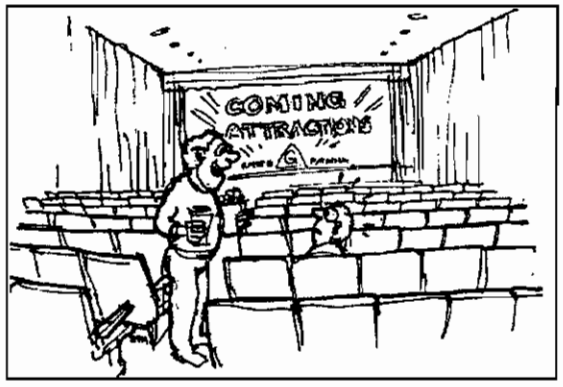

معذرة ... ولكنك تجلس في مقعدي

لقد تمت كتابة آلاف الكتب والمقالات عن مراقبة وحراسة «المناطق» الخاصة بالحيوانات والطيور، والأسماك، والقرود، لكن في السنوات الأخيرة فقط تم اكتشاف بأنّ الإنسان لديه مناطق خاصة به أيضا. وعندما تفهم المعاني الضمنية فى هذا القول، فيمكنك أن تكتسب بصيرة هائلة تجاه سلوكياتك الشخصية، كما أنك ستتمكن من توقع ردود الأفعال الخاصة بالآخرين عندما تتعامل معهم وجها لوجه. لقد كان عالم «الإنسانيات» الأمريكي (إدوارد هول Edward Hall) من أحد الرواد في دراسة (متطلبات الإنسان المكانية) وفي أوائل الستّينات وضع مصطلحا من عنده لكلمة (بروكسيميكس proxemics) وهى كلمة مشتقة من «القرب proximity » كما تعنى(الدنو nearness). و لقد أدّت أبحاثه فى هذا المضمار إلى « فهم جديد» يتناول علاقاتنا مع بعضنا البعض كبشر.

كلّ بلد من البلاد عبارة عن أراضٍ تتم مراقبة حدودها المعرّفة بشكل جيد وتتم حمايتها أحيانا من قبل الحرّاس المسلّحين. وداخل كلّ بلد هناك أراضٍ أصغر عادة ما تكون على شكل ولايات ومقاطعات. تتضمن هذه المقاطعات أراضي أصغر أيضا تسمى المدن والبلدات، هى تتضمن ضواحي، وتلك الضواحي تحتوى على العديد من الشوارع ، وتلك الشوارع فى حد ذاتها ، تمثّل مناطق مغلقة بالنسبة لأولئك الذين يعيشون فيها.

وفي السينما ، فنحن نشن معركة صامتة مع الغرباء حول مسند ذراع الكرسي المشترك بيننا وبينهم ، حيث يحاول هؤلاء الغرباء أن يدعوا بأن المسند يخصهم.

كما أن السكان فى كل منطقة يشتركون في ولائهم المعنوي لتلك المنطقة التى يعيشون عليها، ويمكنهم أن يتحولوا إلى أشخاص غاية فى الوحشية، وقد يقومون حتى بالقتل من أجل حماية أراضيهم.

وفى هذا الفصل، سوف نتعامل بشكل رئيسي مع المفاهيم المتضمنة فى هذا (الحيز أو الفضاء الجوى).

الحيز الشخصي

معظم الحيوانات لها حيز جوي حول أجسامهم والذي يعتبرونه حيزا خاصا بهم بمعنى أنه يمثل «فضاءهم الشخصي».

إن امتداد وأبعاد هذا الحيز تعتمد بشكل رئيسي على مدى الازدحام فى المكان الذى نشأ فيه الحيوان وكثافة الحيوانات الأخرى المتواجدة بالمكان. لذلك فإن المنطقة أو الحيز الشخصي يمكن أن تتوسّع أو تتقلص اعتمادا على الظروف المحليّة. فالأسد الذى نشأ في المناطق النائية بأفريقيا ربّما يكون له منطقة فضاء خاصة به يقدر نصف قطرها ب

٣٠ ميل (حوالي ٥٠ كيلومتر) أو أكثر، اعتماد على كثافة الأسود الأخرى في تلك المنطقة، وهو يعمل على وضع حدود لأرضه بالتبوّل أو التغوط حول تلك الحدود. ومن ناحية أخرى ، فالأسد الذى يولد ويتربى في الأسر مع الأسود الأخرى لربّما يكون له فضاء شخصي لا يتجاوز عدّة ياردات (أمتار) فقط ، كنتيجة مباشرة لحالات الازدحام.

ومثل معظم الحيوانات، كلّ إنسان لديه (فقاعة هواء) نقّالة وشخصية خاصة به، والتي يحملها معه أينما كان؛ وحجم تلك الفقاعة يعتمد على كثافة الأشخاص المتواجدين في المكان الذى نشأ فيه. وبناءً على ذلك يتحدد الفضاء أو الحيز الشخصي الخاص به. وفى بعض الحضارات، مثل الحضارة اليابانية، فهم معتادون على الازدحام، ومع ذلك فالبعض من الحضارات الأخرى يفضّلون الأماكن المفتوحة جدا ، ويريدونك أن تحافظ على مساحتك.

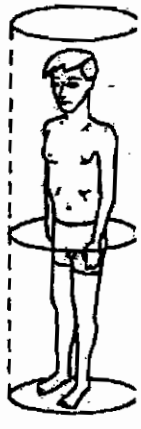

الحيز الشخصي- هو الفقاعة المتنقلة التى نحملها جميعا أينما كنا.

وأظهرت العديد من الأبحاث بأنّ الناس في السجون يظهرون احتياجهم بأن يكون لديهم حيز شخصي أكبر بشكل أكبر من أغلب أفراد المجتمع العادى، ونظرا لصغر المساحة الشخصية للسجناء ، فهو السبب الرئيسي الذي يؤدّي بالسجناء لأن يكونوا عدوانيين بشكل دائم عندما يقترب منهم الآخرين. لذلك نجد أن السجن الانفرادي، حيث لا يتواجد آخرين في فضاء السجن، فإن لذلك تأثيرا مهدئا على المسجون انفراديا. ولقد زادت حدة العنف بين المسافرين على الطائرات أثناء التسعينيات عندما بدأت شركات الطيران بضم الناس وتقريب المقاعد بالطائرة وذلك لتعويض الدخل الذى يفقد نتيجة للخصومات على أسعار تذاكر الطيران.

مسافات النطاقات:

ونحن سنناقش الآن نصف قطر «فقاعة الهواء» حول الناس الذين يعيشون فى المدن من الطبقة المتوسطة والذين يعيشون في أماكن مثل أستراليا، نيوزيلندا، بريطانيا العظمى، أمريكا الشمالية، شمال أوروبا، إسكندنافيا، كندا أو أي مكان ذو ثقافة «مغرّبة» مثل سنغافورة، جوام ، وآيسلندا. و ربّما تكون البلاد التي تحيا فيها أنت شخصيا بها مساحات أراضي أكبر أو أصغر من تلك التى نناقشها هنا، لكنّها لن تزال متناسبة تماما ومطابقة للمناطق التى نناقشها هنا. وقد تعلم الأطفال كيفية إفساح المجال وأخذ المسافات المناسبة وهم بعمر ١٢ عاما، وهو ما يمكن تقسيمه إلى ٤ مسافات نطاقية متميّزة كما يلي:

المنطقة الحميمية : من ٦ - ١٨ بوصة (١٥- ٤٥ سنتيمترات). ، وهذا النوع يعد الأكثر أهمية إلى حد كبير بين أنواع المسافات النطاقية الأخرى ، حيث إنها المنطقة التي يعمل الشخص على حمايتها كما لو كانت ملكيه خاصة به. فقط أولئك المقربون عاطفيا منّا يسمح لهم بالدخول إلى هذه المساحة. وهذا يشمل الأحباء والآباء والأزواج والأطفال والأصدقاء المقرّبين والأقرباء والحيوانات الأليفة. وهناك منطقة ثانوية التي تمتد بحدود ٦ بوصات (١٥ سنتيمتر) من الجسم والتي يمكن الدخول إليها فقط أثناء الاتصال الجسدي الحميمي. وهى يطلق عليها(المنطقة الحميمية القريبة).

المنطقة الشخصية : ما بين ١٨ بوصة و٤٨ بوصة (٤٦ سنتيمتر - ١,٢٢ م). وهذه هى المسافة التي تبعد بيننا وبين الآخرين في حفلات الكوكتيل، والحفلات التى قد نقيمها فى المكتب لأحد الأشخاص ، أومن خلال أدائنا للوظائف الاجتماعية وكذلك الاجتماعات الودّية.

المنطقة الاجتماعية : ومداها بين ٤ - ١٢ قدم (١,٢٢~٣,٦ م). ونحن نقف على هذه المسافة من الغرباء، مثل السبّاك أو النجار الذين يقومون بالإصلاحات فى

بيوتنا، وكذلك ساعي البريد، أصحاب الدكاكين المحليّين، والمستخدمين الجدد في العمل والأشخاص الذين لا نعرفهم بشكل جيدا.

المنطقة العامّة : أكثر من ١٢ قدم (٣,٦ م). وهي التي نقف عندها عندما نقوم بمخاطبة مجموعة كبيرة من الناس، وهي تعد مسافة مريحة لنا عندما نختارها للوقوف.

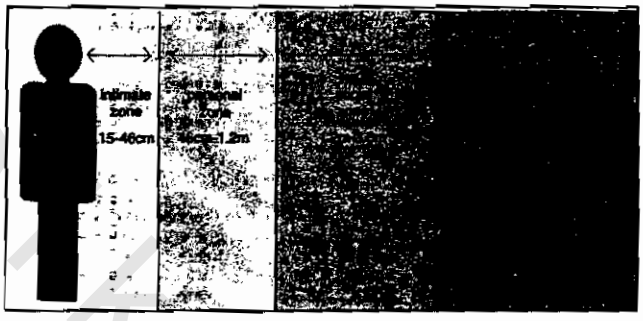

مسافات المنطقة الشخصية

مفردات الرسم (المنطقة الحميمية=intimate Zone=١٥- ٤٥ سم) – (المنطقة الشخصية Personal Zone = ٤٦سم – ١,٢ م)، (المنطقة الاجتماعية Social Zone = ١,٢م – ٣,٦م) ، (المنطقة العامة Public zone= أكثر من ٣,٦م)

وتميل كل تلك المسافات أن تنقص بين اثنتين من النساء، وتزداد بين رجلين يقفان للتحدث مع بعضهما البعض

التطبيقات العملية لمسافات النطاق:

إن منطقتنا الحميمية بين ٦ - ١٨ بوصة، (١٥- ٤٥ سنتيمتر) يتم الدخول إليها في العادة من قبل الشخص الآخر لأحد السببين: أولا أن يكون هذا الدخيل من أقرب الأقرباء أو صديق، أو قد يكون الشخص (امرأة أو رجل) يقوم بمقدمات جنسية؛ أما الحالة الثانية، فيكون فيها الدخيل معاديا لنا وقد يكون على وشك أن يقوم بالهجوم علينا. وبينما نجد أنفسنا قادرين على تحمل تقل الغرباء ضمن حدود مناطقنا الشخصية والاجتماعية، إلا أن قيام شخص غريب بالدخول إلى «منطقتنا الحميمية» يؤدي إلى حدوث تغيرات فسيولوجية في أجسامنا. فالقلب سينبض بشكل أسرع، ويتم ضخ الأدرينالين إلى مجرى الدمّ، ثم يضخّ الدمّ إلى المخ والعضلات ، وكل ذلك يعد تحضيرات طبيعية لمعركة محتملة أو أن يكون ذلك من خلال مواجهتنا لموقف معين أثناء تواجدنا على طائرة مثلا.

وهذا يعني أنك لو قمت بوضع ذراعك على نحو ودّي، حول شخص ما اجتمعت

به للتو فقد يؤدّي إلى ذلك بالشخص بأن يبدو سلبيا نحوك، بالرغم من أنّه قد يبتسم لك ويظهر كأنه يستمتّع بذلك لكي لا يسبب لك أى حرج أو إهانة . .

«تقف النساء أقرب قليلا إحداهما إلى الأخرى، وتقفان فى وضع متقابل أكثر ويقمن بالتلامس أكثر مما يفعل الرجال مع الرجال الآخرين».

إذا كنت تريد أن يشعر الناس بأنهم مرتاحين من حولك، فالقاعدة الذهبية هى أن « تحافظ على مسافتك » التى تفصلك عنهم. وكلما كانت علاقتنا أكثر حميمية وقربا مع الناس الآخرين، كلما سمحوا لنا بالتحرّك ضمن مناطقهم الخاصة. على سبيل المثال ، إن المستخدم (الموظف) الجديد فى العمل قد يحسّ فى البداية بأنّ الموظفين الآخرين يتسمون بالبرود تجاهه، لكنّهم فى الحقيقة يبقونه فقط في المنطقة الاجتماعية حتى يعرفوه بشكل أفضل. وعندما يتعرفون عليه أكثر ، تتناقص المسافة بينهم حتى يسمح له في النهاية بالتحرّك ضمن مناطقهم الشخصية، وفي بعض الحالات، يمكنه التحرك داخل مناطقهم الحميمة.

من الذى يقترب من الآخر:

إن المسافة بين الوركين التي يحتفظ بها شخصان عندما يتعانقان يكشف عن طبيعة العلاقة بينهما.

فيقوم المتحابون بالضغط على جذوعهم وهم متقابلين، ويتحرّكون ضمن المناطق الحميمة القريبة لبعضهم البعض. و يختلف تلقي قبلة من أحد الغرباء عشيّة رأس السنة الجديدة، عن القبلة التى تلثمك إياها زوجة صديقك المفضل أو عمّتك العزيزة الكبيرة السن «سالي»، فجميعهم يحافظون على ابتعاد منطقة الحوض لديهم على الأقل لمسافه ٦ بوصات (١٥ سنتيمتر) من منطقة الحوض الخاصة بك.

إحدى الاستثناءات فى قاعدة المسافة / الحميمية تحدث بحيث أنّ المسافة المكانية تكون معتمدة على مقام أو مركز الشخص الاجتماعي. فعلى سبيل المثال، قد يكون مدير تنفيذي بشركة مرافقا لأحد الموظفين المرؤوسين منه فى رحلة لصيد السمك فى عطلة نهاية الأسبوع ،وعندما يذهبون لصيد السمك فكلّ منهم قد يتحرّك ضمن المنطقة الشخصية أو المنطقة الحميمة للشخص الآخر. ومع ذلك، وفي المكتب، يبقي المدير التنفيذي رفيقه فى صيد السمك على (مسافة اجتماعية) للحفاظ على الشكل المتعارف عليه لقواعد الطبقات الاجتماعية.

لماذا نكره ركوب المصاعد؟

إن الازدحام في الحفلات الموسيقية، والسينمات، وفي القطارات أو الحافلات يؤدّي إلى تدخل لا يمكن تجنبه إلى المناطق الحميمة للناس الآخرين ، ويكون من الممتع حقا مشاهدة ردود أفعال الناس نحو هذا الأمر. فهناك قائمة من القواعد الغير

مكتوبة ولكنها متعارف عليها والتى تتبعها أكثر الثقافات بشكل قوى عندما مواجهه حالات الازدحام مثل المصعد، طابور فى إحدى المطاعم التى تقدم الساندويتشات، أو فى وسائل النقل العامّ. وسنذكر فيما يلي قواعد ركوب المصعد (الأسانسير) الشائعة:

١. عدم التحدث مع أي أحد، بما فى ذلك الأشخاص الذين تعرفهم.

٢. تفادى التواصل بالعيون مع الآخرين طوال الوقت.

٣. ابق «وجهك بلا تعبير» - ولا يسمح لك بإظهار أية عاطفة.

٤. إذا كان لديك كتاب أو صحيفة، فتظاهر أنك منهمكا فى القراءة بعمق.

٥. ولو كان الازدحام كبيرا جدا، لا يسمح بالحركة .

٦. يجب عليك أن تراقب الشاشة التى تظهر أرقام الطوابق التى يصل إليها المصعد طوال الوقت.

إن هذه السلوكيات التى قمنا بذكرها تدعى (الإخفاء masking) وهى شائعة في كل مكان وهي تتمثل ببساطة فى محاولة كلّ شخص بإخفاء عواطفه عن الآخرين بارتدائه قناعا محايدا.

ففي أغلب الأحيان نسمع كلمات مثل (يائس) و(حزين) و(بائس) تستعمل لوصف الناس الذين يذهبون للعمل في ساعة الازدحام بوسائل النقل العامّ. هذه الكلمات تستعمل لوصف النظرة الغير معبّرة والفارغة على وجوه هؤلاء الموظفين، لكنها تعتبر سوء حكم من ناحية المراقب لهؤلاء الناس.

فالذي يراه المراقب لوجوه هؤلاء الناس في الحقيقة، هو مجموعة الناس (متخفين) — ويلبسون قناعا من الالتزام بالقواعد نحو الغزو المستحيل تجنبه لمناطقهم الحميمة في الأماكن العامّة المزدحمة.

«الناس الذين يرتحلون عبر مترو الأنفاق ليسوا حزينين؛ هم فقط يخفون عواطفهم».

لاحظ كيف ستتصرّف أنت شخصيا في المرة القادمة التى تذهب فيها لوحدك إلى سينما مزدحمة. فعندما تختار مقعدا والذي يكون محاطا بواسطة بحر من الوجوه الغير معروفه لك، لاحظ كيف أنك ستبدأ مثل إنسانا آليا سابق البرمجة، باتباع القواعد المتعارف عليها للإخفاء في هذا المكان العامّ المزدحم. فبينما ستسعى إلى التنافس من أجل الحصول على حقوقك فى المساحة التى ستجلس فيها مع الشخص الغريب الذى يجلس بجانبك، من أجل أن تحتل مسند اليد المشترك بينكما، حينها ستبدأ فى فهم لماذا يقوم الذين يذهبون إلى السينمات المزدحمة لوحدهم فى أغلب الأحيان باحتلال مقاعدهم بوقت كافي قبل إسدال الأضواء

إيذانا ببداية عرض الفيلم.

وسواء كنا في مصعد مزدحم أو سينما أو حافلة، يصبح الناس حولنا كأنهم غير موجودين تماما — بمعنى، هم لا يكونون موجودين طالما لم نعيرهم اهتماما ، ولذا فنحن لا نتجاوب معهم كما لو أنّ شخصا هاجمنا أو حاول التعدى على المنطقة الخاصة بنا

لماذا تصبح الحشود غاضبة؟

لاتتصرف الحشود الغاضبة مثل مجموعة من المحتجّين بالطّريقة نفسها التى يتصرف بها الفرد متى تم غزو واقتحام المنطقة الخاصة به ؛ في الحقيقة، فإن شيئا مختلفا جدا يحدث. فعندما تزيد كثافة الحشود ، يكون لكلّ فرد أقل مساحة أو فضاء شخصي ، ويبدأ بالشعور بالعدوانية، لهذا السبب، فكلما زاد عدد الحشد من الناس، كلما أصبح أشدّ غضبا وقبحا و قد يندلع قتال. وتحاول الشرطة تفريق الحشد لكي يتمكن كلّ شخص من أن يستعيد فضاءه الشخصي الخاص به ويصبح أكثر هدوءا.

في السنوات الأخيرة فقط، بدأت الحكومات ومخططو المدن فى فهم تأثير تلك المشروعات الإسكانية التى صممت لتستوعب كثافة عالية من السكان ، والتي تعمل على حرمان الأفراد من أن يكون لديهم مساحاتهم الشخصية.

إن عواقب المعيشة فى المناطق المزدحمة ذات الكثافة العالية التعرف عليه من خلال دراسة أجريت على سكان يقطنون فى منطقة يعيش بها حيوان « الآيل» (الغزال) فى منطقة تسمى جزيرة (جيمس آيلاند James Island) ،وهى جزيرة تبعد بمسافة ميل (٢ كم) خارج ساحل (ميريلند Maryland) في خليج (تشيسابيك Chesapeake) في الولايات المتّحدة.

العديد من حيوانات الأيل كانت تموت بأعداد كبيرة، على الرغم من حقيقة أنّ في ذلك الوقت كان هناك الكثير من الغذاء، ولم تكون هناك حيوانات مفترسة، ولم تكن هناك عدوى بأمراض تصيبها. وكشفت الدراسات المماثلة التى تمت في السنوات السابقة على الجرذان والأرانب نفس الاتجاه بأنّ الأيل مات بسبب الزيادة فى نشاط الغدد الكظرية ، وكان ذلك بسبب الإجهاد الذى سببه تدهور ونقص مساحة الأرض المفترضة لكل حيوان من الأيل والذى تسبب فيه زيادة عدد تلك الحيوانات بشكل كبير فى الآونة الأخيرة. وتلعب الغدد الكظرية دورا هاما في تنظيم عملية النمو، وفى إعادة الإنتاج ومستوى دفاعات الجسم. فقد تسببت ردود الفعل الفسيولوجية لدى هذه الحيوانات إلى إجهاد الأعداد المتضخمة من هذه الحيوانات، مما أدى إلى تلك الحالات من الوفيّات، ولم يكن ذلك بسبب المجاعة أو العدوى أو عدوان من الآخرين. وهذا هو السبب فى كون المناطق التي بها كثافة

سكانية عالية من البشر، يكون بها أيضا معدلات أعلى من الجريمة والعنف.

«الرغبة فى امتلاك الأراضي هى إحدى الأمور الملحة الكامنة فى أعماق نفوسنا. ويجيء هذا الإلزام بداخلنا من حقيقة مفادها أنّ الأرض تعطينا حرية المساحة التى نحتاجها».

ويستعمل المستجوبون من رجال المباحث مثلا أساليب متعددة لغزو المساحات الشخصية للمجرمين الذين يتم استجوابهم وذلك لتحطيم مقاومتهم. فيتم إجلاس المجرم على كرسي ليس له مساند لليد ويكون مثبتا فى منطقة مفتوحة من الغرفة ويتم انتهاك مناطقه الحميمة والقريبة عندما توجه إليه الأسئلة، ويبقى المستجوب على هذه الحال حتى يقوم بالإجابة على كل الأسئلة. و في أغلب الأحيان لا يستغرق الأمر إلا فترة قصيرة لهذه المضايقة والتحرش بالمنطقة الشخصية للمجرم وتحطيم مقاومته.

طقوس المسافات:

عندما يدّعي شخص بأن مساحة أو منطقة ما تخصه بين مجموعه من الغرباء مثل مقعد في السينما ، أو مكان على طاولة الاجتماعات أو شماعه لتعليق المنشفة في نادي صحى، فهو يقوم بذلك على نحو متوقّع. فهو يبحث عن المساحة الأوسع المتاحة له، والتى تكون عادة مساحة تتوسط شخصين آخرين ويدّعى أن هذه المنطقة تخصه الآن بوقوفه فيها.

في السينما سيختار المقعد الذي يكون فى منتصف المسافة بين نهاية الصفّ وأقرب شخص يكون جالسا. وفي النادي الصحي، يختار خطّاف المنشفة الذي في أكبر مساحة متوفرة بالمكان ، فى منتصف المسافة بين منشفتين أخرتين أو منتصف المسافة بين المنشفة الأقرب ونهاية رفّ المناشف ، بشكل مماثل لوضعه فى السينما. إنّ الغرض من هذه الطقوس هو أن يتجنّب إهانة الناس الآخرين عن طريق أن يكون أما قريب جدا منهم أو بعيد جدا عنهم.

«يسمح للأطباء ولمصفّفي الشعر بالدخول إلى مناطقنا الحميمة. كما نسمح للحيوانات الأليفة بنفس الأمر وفي أي وقت لأنهم لا يمثلون تهديدا».

في السينما، إذا قمت باختيار مقعد يقع أكثر من نصف المسافة بين نهاية الصف والشخص الآخر الأقرب لك، فإن ذلك الشخص الآخر قد يشعر بالمهانة لأنك جلست بعيد جدا عنه ،كما أنه قد يشعر بالاستياء منك إذا جلست قريبا جدا منه. إنّ الغرض الرئيسي من هذه الطقوس هو المحافظة على الانسجام بين الأفراد ، ويبدو أنه سلوك متعلّم.

وهناك استثناء من قاعدة المباعدة هذه وهى التي تحدث في كابينة المرحاض العام. فقد وجدنا أن الناس يختارون كابينة المرحاض الذى يكون فى النهاية بنسبة

٩٠ ٪ ، وإذا كانت تلك الكابينة مشغولة، فيكون المبدأ هنا هو استعمال الكابينة التى تكون فى المنتصف. ويحاول الرجال دائما أن يتجنّبوا الوقوف بجانب غرباء في المبولة العامّة ويتبعون دوما قانونا عرفيا يقول « الموت قبل أن يحدث اتصال عيني ».

جرب اختبار «مائدة الغداء»:

جرب هذا الاختبار البسيط في المرة القادمة التى تأكل فيها مع شخص ما. فقواعد المساحات المتعارف عليها ينص على أنّ الطاولة فى المطعم تكون مقسمة لقسمين متساويين، وفى المنتصف ، نجد أن الموظفين يضعون الملح ، الفلفل، السكر، الزهور والملحقات الأخرى بعناية بشكل متساوى على الخط الواقع فى منتصف الطاولة بينك وبين الشخص الآخر. وبينما يتم تقديم وجبة الطعام ، يتم تحريك المملحة بشكل مهذب عبر جانب الشخص الآخر، ثمّ يتم تحريك الفلفل، والزهور وهكذا. ولو كان هذا «الغزو» المهذب لمساحة الشخص قد تم قبل وضع الطعام وليس أثناء تقديمه، لأثار هذا ردّ فعل لرفيقك على الغداء غدائك. فكنت ستراه إما يجلس متراجعا للخلف فى كرسيه لاستعادة مساحته الشخصية، أو أن يبدأ بدفع كلّ شيء أمامه حتى يعود به إلى وسط الطاولة مرة أخرى.

العوامل الثقافية المؤثرة على المسافات النطاقية:

هاجر زوجان إيطاليان صغيران من إيطاليا للعيش في سيدني بأستراليا ، ودعيا للانضمام إلى نادي اجتماعي محليّ. وبعد عدّة أسابيع من انضمامهما إليه ، اشتكت ثلاثة عضوات من النساء بهذا النادى بأنّ الرجل الإيطالي كان يقوم بمقدمات جنسية نحوهم وبأنّهن شعرن بعدم الراحة لتواجده حولهن. كما أن الأعضاء من الذكور فى نفس النادي شعروا بأنّ المرأة الإيطالية كانت أيضا تتصرّف كما لو أنّها توحى إليهم بأنها سهلة المنال ومتاحة جنسيا.

إن هذه الحالة توضح التعقيدات التي يمكن أن تحدث عندما تلتقى ثقافات لها احتياجات مختلفة للمساحات. فالعديد من الأوربيين الجنوبيين لديهم مسافة حميمية تتراوح من ٨ إلى ١١ بوصة فقط (٢٠ - ٣٠ سنتيمتر) وحتى أنها تكون أقل من ذلك في بعض الأماكن الأخرى. فقد شعر الزوجان الإيطاليان بالرّاحة والاسترخاء متى وقفوا على مسافة ١٠ بوصات (٢٥ سنتيمتر) من الأستراليين ،لكن الزوجان كانا غافلين كليا أنهم بتصرفهم هذا فقد اقتحموا المنطقة الحميمية التى يتخذها الأستراليون والتى تبلغ (٤٦ سنتيمتر). كما أن الشعب الإيطالي يستخدم الاتصال العيني (بالعيون) أكثر أيضا ويقوم بالمسّ بشكل أكبر من الأستراليين، والذي سبّب بدوره سوء فهم آخر حول دوافعهم. ولقد شعر الزوجان الإيطاليان بالصدمة عندما شرح لهم هذا الأمر، لكنّهما أبديا استعدادهما للتدرب على الرجوع للوراء

للمحافظة على مسافة تكون مقبولة بشكل أكبر لتلائم الثقافة الأسترالية.

إن الانتقال إلى المنطقة الحميمة للجنس الآخر يمثل طريقًا لإظهار اهتمام خاص بذلك (الآخر) ويسمى ذلك عموما (المقدمات). وإذا كانت هذه المقدمات بالتحرك ضمن المنطقة الحميمية للشخص الآخر مرفوضة، فسيقوم الشخص الذى بادر بتلك المقدمات بالخطو للخلف لاسترداد وضعيته السابقة. أما إذا كان التقدم مقبولا، يثبت الشخص فى مكانه أو المساحة التى يقف فيها ويسمح للدخيل للبقاء داخل تلك المنطقة التى تخصه. وعندما تريد المرأة قياس مستوى اهتمام الرجل بها ، فهى ستعمل على الدخول إلى منطقته الحميمة وبعد ذلك تتراجع للخارج ثانية. فإذا كان الرجل مهتمًا، فإن هذا يوحي إليه بالدخول إلى مساحة المرأة الشخصية أيضا.

«كلما شعر الناس بتقارب عاطفي بينهم كلما عملوا على الوقوف فى وضعيات قريبة من بعضهم البعض».

والذي بدا شيئا طبيعيا جدا للزوجين الإيطاليين فى اللقاءات الاجتماعية ، تمت ترجمته من قبل الأستراليين على أنه يمثل (مقدمات جنسية). وبالمقابل، فقد ظن الزوجان الإيطاليان أن الأستراليين كانوا باردين وغير ودودين نظرا لاستمرارهم بالتحرك بعيدا عن الزوجين الإيطاليين للمحافظة على مسافة مريحة.

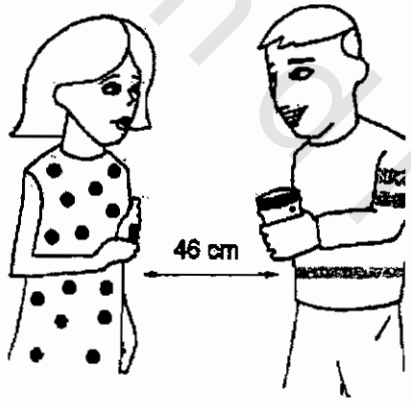

المسافة بالصورة بين الشخصين = ٤٦ سم

تلك هى المسافة المناسبة للتحدث بين شخصين عند معظم الغربيين، والأوروبيين الشماليين، وسكان الدول الإسكندنافية.

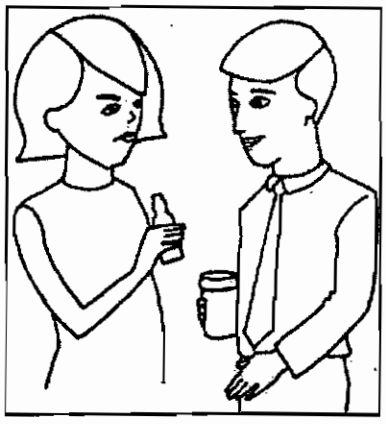

الرجل ذو الحاجة المكانية الأصغر يجبر المرأة التى يحادثها على الميل للخلف للدفاع عن منطقتها.

وتظهر الرسومات التوضيحية أعلاه ردّ الفعل السلبي للمرأة الذي عمل الرجل الذى يحادثها على تجاوز المنطقة الخاصة بها. فهى تميل للخلف، محاولة الإبقاء على مسافة مريحة. ومع ذلك، فقد يكون الرجل قد أتى من ثقافة ذات احتياجات أصغر للمنطقة الشخصية وهو يتقدّم للأمام للوصول إلى مسافة تكون مريحة له. وقد تترجم المرأة هذا على أنه يمثل تحرّكًا جنسيًّا نحوها.

لماذا يكون الياباني هو القائد في رقصة «الفالس»

من خلال مؤتمراتنا الدولية التى نعقدها، نرى أشخاصا أمريكيين ممن ولدوا فى المدينة يقفون عادة على مسافة تتراوح بين ١٨ إلى ٤٨ بوصة (٤٦ — ١٢٢ سنتيمتر) من بعضهم البعض ، ويقفون على نفس المسافة عندما يتجاذبون أطراف الحديث. وإذا راقبت شخصا يابانيا يتحدث مع شخص آخر أمريكي، فستجد أن كلاهما يبدأ بالتحرّك ببطئ حول الغرفة التى يتواجدان بها ، حيث يتحرّك الأمريكي للخلف بعيدا عن الياباني ، بينما سيتقدّم الياباني للأمام. وهذه محاولة لتعديل المسافات من قبل كل من الأمريكي والياباني للوصول إلى مسافة مريحة من الآخر كل حسب ثقافته.

فالشخص الياباني، يحتاج إلى منطقة حميمة أصغر تصل إلى ١٠ بوصه (٢٥ سنتيمتر) ، ولذلك فهو يتقدّم بشكل مستمر للأمام من أجل تعديل حاجته المكانية، لكن هذا يمثل غزوا لمنطقة الأمريكي الحميمة، مما يجبر الشخص الأمريكي بأن يخطو للخلف لإجراء تعديل وضبط للمساحة الخاصة به. وتعطى الإعادة لتسجيلات الفيديو لهذه الظاهرة من خلال تشغيل السرعة العالية إيهاما بأن كلا الرجلين يرقصان رقصة (الفالس) حول الغرفة بقيادة الشخص الياباني. وهذا

هو أحد الأسباب أنه عندما تكون هناك مفاوضات عمل بين آسيويين من جهة وأوروبيين أو أمريكان من جهة أخرى، فإنهم ينظرون إلى بعضهم البعض نظرات متشككة أغلب الأحيان. فالأوروبيون أو الأمريكان يشيرون إلى الآسيويين واصفين إياهم بأنهم (أكثر إلحاحا) و(مألوفون)، ومن ناحية أخرى فالآسيويون يشيرون إلى الأوربيين أو الأمريكان واصفين إياهم (بالبرود)، و(الفتور).

ويمكن لقلة الوعي بهذه الاختلافات عن المنطقة الحميمية بين الثقافات أن تؤدّي إلى الأوهام بكل سهولة ،وإصدار الأحكام الخاطئة من ثقافة تجاه الثقافة الأخرى.

الحيز المكاني فى الريف مقابل المدينة

كما ذكرنا سابقة، فكمية الحيز الشخصي التى يحتاجها الشخص تكون متناسبة مع كثافة السكان حيث يعيش. فالناس الذين نشؤوا في المناطق الريفية البعيدة المأهولة بالسكان بشكل قليل على سبيل المثال، يحتاجون لمساحة شخصية أكبر من هؤلاء الذين نشؤوا في المدن المأهولة بالسكان بشكل كثيف.

فعندما نراقب المسافة التى يمدها بها شخص ذراعه ليصافح الآخرين ، فإن هذا يعطينا فكرة عن كون هذا الشخص قد أتى من مدينة كبيرة أو من منطقة ريفية.

فنلاحظ أن سكان المدن يحيطون نفسهم فى العادة بفقاعة هواء (أو حيز خاص) فى حدود ١٨ بوصة (٤٦ سنتيمتر) ؛ وهى تمثل نفس المسافة أيضا التى تقاس بين الرسغ والجذع عندما يقومون بالمصافحة كما بالشكل التالي:

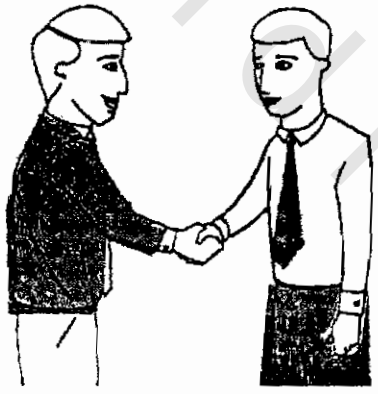

رجلان من المدينة يحيون بعضهم البعض ، وتصل أيديهما لمسافة ١٨ بوصة (٤٦ سم)

هذا يسمح للأيدي بالتقابل على أرض محايدة. فى حين أن الناس الذين نشؤوا فى بلدة ريفية ذات عدد سكان صغير ربّما تكون لديهم (فقاعة هوائية) حولهم بحدود ٣٦ بوصة (١ متر) أو أكثر وهذا يمثل متوسط المسافة المقاسة من الرسغ إلى الجسم عندما يتصافح شخصا الريف.

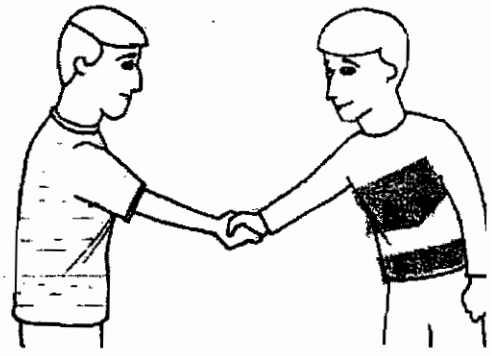

شخصان من بلدة ريفية تبعدهما مسافة تصل إلى ٣٦ بوصه(١م)

ويميل الناس الريفيون إلى الوقوف بأقدامهم مثبته بحزم على الأرض ، ثم يميلون للأمام لاستقبال مصافحتك، بينما سيتقدّم الشخص من سكان المدينة نحوك لتحيتك.

وقد يكون الناس الذين نشؤوا في المناطق البعيدة النائية لديهم حاجة لأن يكون لهم حيز شخصي أكبر ، الذي يمكن أن يكون بعرض ١٨ قدم (٦ أمتار). وهم يفضّلون في أغلب الأحيان ألاّ يتصافحوا بل يقومون بالوقوف على مسافة ويلوحون بيديهم عوضا عن ذلك.

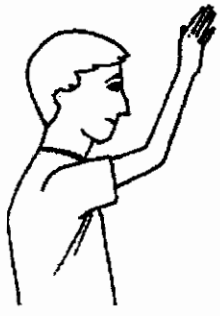

الأشخاص الذين يعيشون فى المناطق النائية القليلة السكان يحافظون على المسافة بينهم

ويجد باعة المعدات الزراعية ممن يعيشون في المدن هذه المعلومات مفيدة للتعامل مع المزارعين في المناطق الريفية البعيدة. فعند الوضع فى الاعتبار، على سبيل المثال، المزارع الذى يحيط نفسه بمساحة شخصية (فقاعة) من ٣ إلى ٦ أقدام (١ —٢ متر) أو أكثر ، فالمصافحة حينها يمكن اعتبارها نوعا من التدخل فى الحيز

الشخصي، مما قد يجعل المزارع يتجاوب سلبيا أو بشكل دفاعي تجاه هذا السلوك. أما الباعة الناجحون فى عملهم فى تسويق مبيعاتهم فى الريف ، يقرون بالإجماع أن أفضل مفاوضات يقومون بها هى تلك التى يحيّون فيها العميل القروى بمصافحة بعيدة ، ويحيون فيها المزارع من منطقة بعيدة مع التلويح له من بعيد.

المنطقة والملكية:

إن الأملاك التى يمتلكها شخص أو المساحة التى يستخدمها بانتظام تشكّل منطقة خاصّة، وكما هو الحال فى (فقاعته الشخصية)، فهو سيحارب للدفاع عنها. إن منزل الشخص ومكتبه وسيارته كلها تمثل منطقة خاصة به، كلّ منها يتميز بحدود ملحوظة جدا على شكل حوائط، وأسياج وأبواب. وكلّ منطقة من هذه المناطق ربّما يكون لها عدّة مناطق فرعية. على سبيل المثال، المنطقة الخاصّة بالأشخاص فى منازلهم قد تكون المطبخ مثلا، وهم سيعترضون على أي واحد يقوم بانتهاكه عندما يستعملونه؛ وكذلك رجل الأعمال الذى يجد أن مكانه المفضّل هو طاولة الاجتماعات؛ وكذلك الذين يخرجون للعشاء بالخارج الذين يحبون الجلوس على مقاعد مفضّله لديهم في المقهى؛ والأمّ أو الأبّ لديهم كراسيهم المفضلة التى يحبون الجلوس عليها فى المنزل.

هذه المناطق يتم وضع علامات عليها عادة إما بترك ممتلكات شخصية على أو حول المنطقة، أو بالاستعمال المتكرّر لها. فالذى يذهب للعشاء فى المقهى قد يذهب حدّ أبعد من هذا عندما يقوم بحفر حروف اسمه الأولى على (الطاولة التى اعتاد الجلوس عليها) ، كما أن رجل الأعمال يترك بصمات تشير إلى منطقته في طاولة الاجتماعات بواسطة وضعه لأشياء خاصة به مثل حافظة شخصية وأقلام وكتب ويقوم بتوزيعها حول حدود منطقته الحميمة بمسافة ١٨ بوصه (٤٦ سنتيمتر).

وأظهرت الدراسات التى نفّذت من قبل (ديزموند موريس (Desmond Morris والتى كان موضوعها عن (أماكن الجلوس) في المكتبات العامة بأنّ ترك كتاب أو غرض من الأغراض الشخصية على منضدة فى المكتبة قد تسبب فى حجز ذلك المكان لمعدل يصل إلى ٧٧ دقيقة؛ وكان ترك سترة أو (جاكيت) على كرسي يؤدى إلى حجز ذلك المكان لمدة لساعتين.

وفي البيت ، قد يقوم فرد من العائلة بترك علامة خاصة له على كرسيه المفضّل عن طريق ترك غرض من أغراضه الشخصية عليه، مثل حقيبته أو مجلة على ذلك الكرسي أو بقربه لإظهار أن هذه المنطقة تخصه.

وإذا طلب صاحب المنزل من زائر ما الجلوس، و قام الشخص الزائر بالجلوس بشكل بريء في الكرسي الخاطئ، فهذا التصرف يمكن أن يجعل صاحب المنزل متهيّجا حول هذا الغزو لأرضه ، ويمكن أن يتحول موقفه إلى موقف دفاعي.

ويمكن تلافى هذا الموقف السلبي عن طريق توجيه سؤال بسيط من الزائر لصاحب المنزل مثل، (أيّ كرسي يخصك؟).

❖❖❖

الحيز فى السيارة:

يمكن للناس من قائدي السيارات أن يتفاعلوا في أغلب الأحيان بطريقة مخالفة تماما لسلوكياتهم الاجتماعية الطبيعية بشأن المساحات الخاصة بهم.

ويبدو أن السيارة تعمل على تضخيم التأثيرات فيما يتعلق بحجم المساحة الشخصية التى يحتاجها السائق. ففي بعض الحالات، يكون هذا التضخيم أو التكبير للمساحة بحدود ١٠ مرات الحجم الطبيعي، لذا يشعر السائق بأنّه يستحق مساحة تتراوح من ٢٥ إلى ٣٠ قدم (٨- ١٠ أمتار) وهى المساحة التى تكون أمام وخلف سيارته، ويتعامل مع هذه المساحة على أنها من حقه. وعندما يقوم سائق آخر بقطع الطريق عليه مثل أن يسير أمامه بسيارته، حتى إن لم يكن هذا يمثل خطرا عليه، فإن السائق الذى يشعر أن الطريق قد قطع عليه يمر بتغيرات فسيولوجية، ويصبح غاضبا وقد يهاجم السائق الآخر وهو ما يصطلح على تسميته الآن باسم (مشاجرات الطرق).

وعند مقارنة هذه الحالة بحالة أخرى لنفس الشخص يدخل إلى المصعد ، ثم يقوم شخص آخر بالدخول إلى المصعد والوقوف أمامه مباشرة، أي أنه يغزو مساحته الشخصية. فيكون ردّ فعل هذا الشخص (الذى تم غزو منطقته الشخصية) في تلك الظروف عادة أن يعتذر مع سماحة للشخص الآخر بالتقدم عليه ، إن هذا معاكس تماما عن الذي يحدث عندما يقوم نفس الشخص بالسير أمامه بسيارته على الطريق المفتوح كما أسلفنا.

في السيارة، العديد من الناس يعتقدون بأنّهم غير مرئيين. لهذا فهم يصدرون أحكاما خاصة ويتذمرون على مرأى ومسمع من كلّ شخص وهم يظنون أن الآخرين لايرونهم.

بعض الناس يتعامل مع السيارة على أنها (شرنقة محمية) يمكن أن يختفوا فيها من العالم الخارجي. فعندما يقودون سياراتهم ببطئ بجانب الرصيف، فهم يمكن أن يمثلوا خطرا كبيرا على الطريق تماما مثل السائق الذى يحدد مساحة شخصية واسعة ويعتبرها من حقه.

فالإيطاليون، مع متطلباتهم المكانية الأصغر، يتّهمون فى أغلب الأحيان أنهم يمارسون القيادة على نحو قريب جدا من السيارة التي أمامهم ، وعلى مسافة لا تضمن لهم التوقف لتجنب الاصطدام، وأنهم متغطرسون فى طريقة قيادتهم على

الطرق السريعة لأنهم يخالفون الأعراف الثقافية فى الأماكن الأخرى.

قم بهذا الاختبار:

انظر إلى الشكل التوضيحي التالي ،وخذ قرارا عن ماهية السيناريوهات المحتملة التى يمكن أن تكون بين الشخصين فى الشكل، مستندا بشكل كلي على مسافاتهم المكانية. بضعة أسئلة بسيطة ومزيد من الملاحظة لهؤلاء الناس يمكنها أن تكشف لك عن الجواب الصحيح ،ويمكن أن تساعدك على تجنّب القيام بافتراضات خاطئة.

من يفعل ماذا ومن أين؟

نحن يمكننا القيام بواحدة من الافتراضات التالية بشأن هؤلاء الناس:

١. كلا الشخصين من قاطني المدن والرجل يقوم بالتقرب الحميم للمرأة.

٢. هذا الرجل عنده منطقة حميمة أصغر من المرأة ويغزو منطقتها بشكل بريء.

٣. تنتمى المرأة لثقافة لها متطلبات لمنطقة حميمة أصغر.

٤. الشخصان يشعران بتقارب عاطفي من بعضهما البعض.

ملخص

قد يرحب بك الآخرون أو يرفضونك، اعتمادا على الاحترام الذي تبيده لمساحاتهم ومناطقهم الشخصية. لهذا فالشخص المقبل على الحياة بسعادة، والذي يربت على ظهر كلّ شخص يقابله، أو يقوم بلمس الناس بشكل مستمر أثناء محادثتهم، يكون مكروها من قبل كلّ شخص بشكل غير معلن. فهناك العديد من العوامل التى يمكنها أن تؤثّر على المسافة المكانية التى يتخذها الشخص في علاقاته مع الآخرين، لذا فقد يكون من الحكمة وضع كلّ المعايير فى الاعتبار قبل اتخاذ قرار حول المسافة المعينة التي يحتفظ بها شخص ما.